الفصل الثاني

لمحة عامة عن أبرز علماء الاجتماع

«من الرواد إلى المعاصرين»

لمحة عامة عن أبرز علماء الاجتماع «الرواد والمعاصرين»

المتابع والمطلع في علم الاجتماع دون شك سوف يلاحظ تعدد وتباين الآراء حول تحديد نشأة علم الاجتماع، أو حول من هو مؤسس علم الاجتماع، ولمن تعود بالضبط بداية تحديد بعض المفاهيم والقواعد والمناهج والنظريات الأساسية في مجال علم الاجتماع.

إلاّ أن هناك شبة إجماع حول عدد من العلماء والمفكرين الاجتماعيين الأوائل بوصفه أول من أسهموا في إرساء قواعد تأسيس هذا العلم. وتشير إليهم الكثير من المؤلفات والكتابات السوسيولوجية.

وعليه سنكتفى في هذا الفصل من إبراز أهم هؤلاء العلماء، وعرض ملامح أراءهم التي أسهمت بشكل واضح في بناء مفاهيم ومواضيع ومناهج ونظريات علم الاجتماع وترسيخه كعلم مستقل بذاته، وإنارة معالم الطريق للعلماء اللاحقين والمفكرين المعاصرين في علم الاجتماع، إذ كانت الاسهامات والاضافات التي قدمها هؤلاء المؤسسيين، قد أغنت علم الاجتماع حتى أصبح في طليعة العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ومن أبرز هؤلاء العلماء هم: عبد الرحمن ابن خلدون، و أوجست كونت، و إميل دور كهايم، و كارل ماركس، و هربرت سبنسر، جورج هربت ميد، ماكس فيبر، و جورج زيميل، و أنتوني غدنز، وبيير بوردو. ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى بعض من أوائل علماء الاجتماع المعاصرين العرب أمثال علي حسن الوردي وعلي عبد الواحد وافي.[٢٥]❖

ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) مؤسس علم الاجتماع:

كثيرون من العلماء والمفكرون حصروا نشأة علم الاجتماع على يد ابن خلدون، مع أن دراسات كثيرة سبقت ابن خلدون وتضمنت أمورًا اجتماعية. إلاّ أن ما جاء به ابن

٢٥❖ – تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء المفكرون جميعًا قد عاشوا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. باس تشا ابن خلدون

خلدون من أفكار اجتماعية جديدة فسرت طبيعية الظواهر والتحولات الاجتماعية والتي شملت مختلف جوانب المعرفة الإنسانية، إذ مثل مؤلفه التاريخي الشهير والزاخر بضروب المعرفة الإنسانية والمعروف بـ (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر). جاءت أهمية ما أورده في هذا الكتاب الذي عُرف بمقدمة ابن خلدون، شرح فيها أحوال الناس وتطورها من حال إلى حال [٢٦].

لقد كانت دراسة ابن خلدون لطبيعة المجتمعات البشرية قائمة على تجربته الحياتية في الملاحظة والمعايشة للمجتمعات التي عاشها بنفسه، وتعد هذه الخطوة من أهم شروط الباحث الاجتماعي، إذ قام ابن خلدون هابطًا بالمعرفة من أبراجها العالية إلى عالم الواقع الاجتماعي الملي بالمشكلات [٢٧]، بعد ما كانت المعرفة التي يقدمها الفلاسفة تقوم على التأويل أكثر من تفسيرها للواقع الاجتماعية.

إنّ ما يميز ابن خلدون عن غيره من المؤرخين والباحثين هو أنه قام بالبحث عن العلل والأسباب لما حدثت من وقائع أدت إلى نشأة الدول وبداية العمران وظواهره، كان مولعًا بالبحث عن العلل الكامنة والتفتيش عن الأسباب الخفية والظاهرة، وهاتان عمليتان تحتاجان إلى أن يكون الباحث مستوعبًا لأكبر قسط من المعرفة، وأن يكون قادرًا على اختزانها والاحتفاظ بها، ثم الإفصاح عنها مرتبة ومصنفة بحيث يسهل على العقل أن يلمح العلاقات التي تربط الحقائق بعضها إلى بعض سواء كان ذلك عن تشابه أو اتفاق أو تباين أو اختلاف. أن قيمة ابن خلدون تتجسد في منهجه القائم على الملاحظة والمقارنة والموضوعية، واستقرائه العلمي للظواهر الاجتماعية.

كانت أفكاره هي السباقة في حقل السوسيولوجيا الذي أسماه بعلم العمران البشري، والذي لم يسبقه إليها أحد، حتى جاء من بعده أوجست كونت بمصطلح علم الاجتماع الذي يقابل تسمية **ابن خلدون** أسبقيته بتأسيس علم الاجتماع، وتكمن قدرته الإبداعية في **فصل الظواهر التاريخية** عن الظواهر الاجتماعية في الدراسة والتحليل. كما اعتمد المعايشة الحياتية كوسيلة للوصول للحقائق الاجتماعية.

---

٢٦ – انتوني غدنز، علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥

٢٧ – هادي صالح العيساوي، أفاق علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص١٢-١٣

كما أسس لوضع بدايات لمعظم فروع علم الاجتماع -التي سبق ذكرها-من دراسته لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية حيث كانت كثير من الموضوعات التي درسها ذات صله بعدد من فروع علم الاجتماع والتي جاءت في فترات لاحقة، مثل علم الاجتماع الحضري وعلم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الريفي وعلم الاجتماع الديني.

لقد كانت أفكار ابن خلدون في مجملها قد سبقت أفكار غيره من العلماء الذي أجوا ببعض الأفكار العلمية التي تفسير الظواهر الاجتماعية، منهم على سبيل المثال لا للحضر عالم الاجتماع الفرنسي أميل دوركايم الذي أقر بجبرية أو إلزامية الظواهر الاجتماعية وما يترتب عليها من جزاءٍ آتٍ في حالة الخروج عليها. وأوضح ابن خلدون بأن العصبية تشكل الأساس الأول الذي يقوم عليه الاجتماع الإنساني، ويقصد بها الشعور الذي يحس به الأفراد تجاه من تربطهم وإياهم من نسب أو ما يترتب عليه من وهم، أو ما تفتضيه عوامل الجوار أو الحلف أو الولاء من ضرورة الذود عنهم عند الشدائد التي تلم بهم، فالعصبية بهذا المعنى أساس لدعم الدولة، إلاَّ أنه إذا تعددت العصبيات كثرت المصالح المتعارضة، فتضعف بذلك سيطرة الدولة على رعاياها وهنا يتدخل الدين في مثل هذه الحالة ليعيد التوازن للمجتمع[٢٨]

أوكست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧):

ولد أوجست كونت في مونتيليه بفرنسا عام (١٧٩٨ – ١٨٥٧). ويشار إليه من قبل الكثيرون بأنه المؤسس الأول لعلم الاجتماع الحديث، كان أوجست كونت هو أول من أطلق تسمية هذه العلم بتسميته الحالية (علم الاجتماع/ سوسيولوجي)، حيث كان في بداية الأمر قد أطلق عليه تسمية أخرى وهي (الفيزياء الاجتماعية) عاكسًا بهذه التسمية تأثير العلوم الطبيعية على العلوم الاجتماعية في عصره. ثم أسماه في فترة لاحقة بعلم الاجتماع (سوسيولوجي). كان تفكير كونت انعكاسًا للأحداث المضطربة التي مر بها عصره، فالثورة الفرنسية وما أحثته من تغيرات واسعة وتنامي التصنيع أدى الى تغير أساليب الحياة التقليدية للفرنسيين من هنا سعى كونت إلى

٢٨ – راجع مقدمة ابن خلدون، مصدر سبق ذكره.

وضع علم جديد للمجتمع يتولى تفسير القوانين التي تنظم حياة المجتمع [٢٩]. مثلت الدراسات العلمية التي قدمها كونت في مجال علم الاجتماع قاعدة نظرية ومنهجية مهمة استقام عليها علم الاجتماع فيما بعد. فقد درس الجانب الاستاتيكي (الثابت) للنظم الاجتماعية، والديناميكي (المتغير)، والجانب الأول قصد به شروط وجود المجتمع ممثلة بعناصر النظم الاجتماعية سواء أكانت عائلية أم اقتصادية أم سياسية أم دينية... أما الجانب الثاني، فقصد به التغير الاجتماعي الذي يصيب تلك الأنظمة عبر فترات زمنية متعاقبة، غير أنه كان يؤمن بالتغير التدريجي وضرورة التكامل بين أنظمة المجتمع المختلفة.

كما وضع مراحل لتقدم المجتمع البشري هي اللاهوتية والميتافيزيقية والوضعية، ويعتقد أن المرحلتيْن الأولى والثانية قد مرت بهما المجتمعات البشرية، أمّا الثالثة فلا زالت قائمة حيث عصر التصنيع والعلم غير أن هذه المعالجة لا تخلو من تصورات فلسفية.

وضع تصورًا متدرجًا للعلوم بِدءًا من الرياضيات فالفلك فالفيزياء فالكيمياء فعلم الأحياء، وأخيرًا علم الاجتماع، حيث يمثل تاج العلوم برأيه وخلاصة التطور المعرفي الإنساني.

هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣):

يعد هربرت سبنسر واحدًا من رواد علماء الاجتماع البارزين الذين أسهموا في تطوير النظرية الاجتماعية، وقد ظهرت اسهاماته في نظرية التطور الاجتماعي المتأثرة بنظرية التطور الحيوي، إذ تركزت مساهماته في علم الاجتماع بصفة عامة والتي تضمنها كتابه الموسوم بـــ(مبادئ الأولى) والصادر في سنة ١٨٦٢ م، حيث عالج فيه مبدأ تطور النظم الاجتماعية، موضحا بأنها تتطور كما هو عليه الحال في تطور أعضاء الكائنات الحية، التي تنمو وتتطور من البساطة إلى التعقيد، وقد سمي هذا الاتجاه بالدارونية الاجتماعية

٢٩ – انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، ط٤، نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م، ص٦١.

أو التطورية الاجتماعية، على غرار نظرية داروين، التي عالج فيها - داروين - حالة التطور الحيوي التي يمر بها الكائن الحي؛ في حين قدم سبنسر تفسيرا لمسألة التطور الاجتماعي من خلال المقارنة بين تطور الكائنات الحية وكيفية أداء أعضائها لوظائفهم، وبين تطور النظم الاجتماعية وكيفية أداء وظائفها التي تجري وفقًا عملية من التعاون والتناغم والتكامل بين جميع هذه الأنظمة في أداء وظائفهم الاجتماعية المختلفة كما هو الحال في عملية التكامل والتعاون التي تجري بين أعضاء الكائن الحي. وخير ما يمكن أن نستدل به على ذلك، هو ما جاء بالحديث النبوي الشريف: «**مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى**» [٣٠]. وذلك دليل على التعاون والتعاضد والتكامل الذي يتم بين الناس في المجتمع بوصفه جسدًا واحدًا.

يذكر أن سبنسر كان فردي النزعة، حيث نادى بعدم تدخل الدولة في تنظيم أنشطة الحياة الاجتماعية، إلا في أمور محددة كالدفاع عن المجتمع والحفاظ على أمته وإصدار العملة والطوابع البريدية... معللاً ذلك في قوله بأن التطور في مجال الأحياء تلقائي، وعليه يجب أن يكون كذلك في المجتمع.

إذ أكد في كتابه الآخر الموسوم بـ(مبادئ علم الاجتماع) الصادر عام ١٨٧٦م، أن الحقيقة الرئيسية للتطور الاجتماعي تتجسد في حركة المجتمعات من المجتمعات البسيطة إلى المجتمعات المختلفة حتى المجتمعات المركبة، فالمجتمع المركب، انبثق من المجتمع البسيط، (ومركب المركب) انبثق عن (المجتمع المركب)، و(مركب المركب) انبثق عن (مركب المركب)، وتفسيرًا لذلك فإن المجتمع البسيط يتكون من الأسر. أمّا المركب فيتكون من أسر تتحد في عشائر، ويتكون مركب المركب من عشائر تتحد في قبائل، بينما يتكون مركب المركب (كمجتمعاتنا) من قبائل تتحد في أمم ودول، وكلما تعاظم الحجم تعاظم البناء والتطور، والمجتمع عبر مراحل تطوره قد قطع شوطًا كبيرًا في التحول من المجتمع الحربي العسكري إلى المجتمع السلمي الصناعي.

---

٣٠ - حديث شريف أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣):

لم يستخدم كارل ماركس في كتاباته مصطلح علم الاجتماع، وقد فسر البعض ذلك بأنه يرجع إلى موقفة المعترض على الفلسفة الوضعية الكونتية، في تلك المدة [٣١]، لكنه ومن خلال مؤلفاته العلمية وما تضمنته نظريته (الماركسية) نراه قد استعرض وعالج كثير من الأمور التي تندرج ضمن موضوعات علم الاجتماع، ظهر كارل ماركس كفيلسوف اقتصادي اجتماعي في مؤلفه الشهير (رأس المال)، كما عبرت كثير من مؤلفاته وكتاباته الأخرى عن مضامين فكره كعالِم اجتماع.

قدم كارل ماركس تفسيرًا علميًّا لمراحل تطور التاريخ الاجتماعي الذي تمر به المجتمعات البشرية إذ أوضح أن التاريخ يمر بعدد من مراحل تطوره، وهو نتاج لطبيعة الصراع التي تحدث بين الطبقات الاجتماعي.

وأوضح ان مسألة التغير الجذري للمجتمع الرأسمالي لابد أن تتم عن طريق الثورة وهي حصيلة الصراع بين أرباب العمل والعمال. لم يتفق بعض من علماء الاجتماع الغربيين مع فكرة كارل ماركس هذه، بل نجدهم يدعمون الاتجاه المحافظ الذي يدعوا إلى الإصلاحات التدريجية لتحول المجتمع وليس عبر الثورة.

كان الموضوع الاجتماعي الأكثر ظهورًا في كتاباته كارل ماركس يتجسد فيما ذهب وأطلق عليه بالاغتراب إي إحساس العامل بالغربة في المجتمع الرأسمالي.

واعتبر في تفسيره المادي لحركة التاريخ إن الاقتصاد أساس المجتمع، لكنه أُهمل دور العوامل الأخرى على الرغم من أهميتها.

إميل دوركايم (١٨٥٨-١٩١٧)

هو عالم اجتماع فرنسي، يُعد من أبرز علماء الاجتماع، الذين أسسوا وأغنوا هذا العلم الحديث بأفكارهم ونظرياتهم العلمية والتي تضمنتها مؤلفاتهم العلمية، إذ

٣١ – عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، العدد ٤٤، الكويت، ١٩٨١م، ص ٩٩

شكلت لبنة أساسية في أدبيات علم الاجتماع وتوصيف موضوعه ومناهجه وقواعده العلمية. يذكر أن علم الاجتماع لم يستقيم كعلم بمناهجه ونظرياته السوسيولوجية، إلاّ مع دراسات إميل دوركهايم التي كانت من أعمق وأدق الدراسات في تفسير الظواهر والأحداث الاجتماعية وفهم القوانين الاجتماعية التي تتحكم بها. ويدرس علم الاجتماع الوقائع والظواهر الاجتماعية لكي يستخرج القوانين التي يخضع لها هذا الوقائع [٣٢]. ومن ثم التنبه لحركة التغير التي تمر بها.

أنجز دوركهايم عدد من المؤلفات التي مازالت في متناول المتخصصين في علم الاجتماع، ويعد كتابه «تقسيم العمل الاجتماعي» الذي نشره في عام ١٨٩٣م، من أهم الدراسات التي تفسير عملية التضامن الاجتماعي في المجتمعات البشرية، حيث مَيز في دراسته تلك بين نوعين من المجتمعات والتي أسماها بـ «المجتمع الميكانيكي والمجتمع العضوي» فالمجتمعات الأولى القائمة على التضامن الميكانيكي هي المجتمعات الصغيرة البدائية، التي يسودها الروح الجمعية بين الأفراد وتنتقل فيها العادات والتقاليد من السلف إلى الخلف بطريقة ميكانيكية، كما هو في المجتمعات الريفية. والثاني هي المجتمعات القائمة على التضامن العضوي، وهي المجتمعات الحديثة والمعقدة والذي تضعف فيها الروح الجمعية ويسود فيها اللاتجانس والتباين بين الأفراد والجماعات، مثل وضع المدن الحديثة، ومع هذا التباين إلاّ أنهم يكملون بعضهم البعض من خلال تساند مؤسسات المجتمع المختلفة في أداء الوظائف الاجتماعية.

وفي مؤلفه الآخر «الانتحار» الذي نشره عام ١٨٩٧م، فقد عالج أسباب الانتحار في المجتمع من خلال تأويلات نظرية وتجريبية معًا [٣٣]. إذ أوضح في دراسته تلك العلاقة بين درجة التضامن الاجتماعي في المجتمع، ونُسب الانتحار، موضحًا أنه كلما زاد التضامن الاجتماعي في المجتمع قلت نسب الانتحار، وهي أقل في المجتمع الريفي مقارنة بالمجتمع الحضري، ثم يتوسع في هذه المقارنات لتشمل خصائص الأفراد، متزوجين أم عزاب، ذكور أم إناث. كما قدم عدد من الدراسات والرؤى العلمية الذي

٣٢ – فواد خليل، المجتمع – البنية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٨

٣٣ – روبرت نيست و روبرت بيران، علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

أكد فيها على إتباع الموضوعية في الدراسات الاجتماعية وخاصة ما جاء في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع، كما عالج دوركايم الديانات التوتمية (المقدسة) في المجتمعات البدائية المنعزلة، وذلك في كتابه الصور الأولية للحياة الدينية.

ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠)

ماكس فيبر عالم اجتماع ألماني الأصل، درس في مطلع حياته القانون والاقتصاد، ثم تخصص بعلم الاجتماع، من مؤلفاته المشهورة (الاقتصاد والمجتمع) الذي ظهر مع مجموعة بحوث أخرى بعنوان آخر هو (مقالات مجتمعة).

ميز بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية من حيث الموضوع والمنهج وأوضح أن العلوم الطبيعية تتناول وقائع تتصل بالاطراد والتكرار المنتظم تفرض منهجا يتطلق من المشاهدة لتلك الوقائع من الخارج ويدرسها على أساس تجريبي إحصائي؛ بينما تتناول العلوم الاجتماعية الظواهر الإنسانية التي تتميز بالخصوصية أو الفردية لكونها ترتبط بوقائع التجربة الحية أو الخبرة الذاتية للفاعلين المجتمعيين، لذا فإن العلوم الاجتماعية تستخدم منهجًا قائم على فهم الظواهر من الداخل ويدركها دون معالجات تجريبية وإحصائية.[٣٤]. ويرى أن مهمة علم الاجتماع تقوم على الفهم النشاط الإنساني وتأويله، والفهم في نظر ماكس فيبر هو الإحاطة بالنشاط الإنساني ودلالاته ومهناه وأهدافه.

اختلف فيبر مع كارل ماركس في أن تطور الظروف الاقتصادية كانت السبب في ظهور الرأسمالية، فماكس فيبر يذهب إلى أن ظهور الرأسمالية يرتبط بالمناطق التي كانت منتشرة فيها البروتستانتية، ومنها الدول الأوروبية التي ظهرت فيها الرأسمالية، حيث تشجع البروتستانتية، على روح المبادرة الفردية والعمل. حيث تعتبر ذلك طريق للعمل الصالح، ويضرب خير مثال على ذلك بأن المناطق التي كانت منتشرة فيها البروتستانتية في ألمانيا كانت أكثر ثراء من المناطق التي تنتشر فيها الكاثوليكية.

---

٣٤ – فواد خليل، المجتمع– البيئة، مصدر سابق ذكره ٦٣

قدم ماكس فيبر بناءات عقلية تصلح للقياس الاجتماعي، مثل الذي أسماه بالنماذج المثالية، وهي نماذج يمكن من خلالها تفسير وتصف الوجود الواقعي، ويمكن أن يقاس عليها بقية جوانب السلوك الإنساني.

اعتبر أن الفعل الاجتماعي النموذجي هو الوحدة الأساسية للبحث السوسيولوجي، فهذا الفعل مجسد بسلوك الأفراد ويعد الوحدة الأساسية للمجتمع.

دراس شكل السلطة وقسم السلطة إلى ثلاثة، وزعت تبعًا للمرحلة التاريخية التي يعيش في ظلها المجتمع، فهناك السلطة التقليدية التي تستمد قوتها من العرف والتقاليد، وهناك السلطة القانونية التي تستمد قوتها من القانون، وهناك السلطة الكارزمية (الملهمة) أي السلطة التي يقودها قائد ملهم وذكي وشجاع.

تالكوت بارسونز (١٩٠٢ -١٩٧٢):

تالكوت باسونز هو أحد علماء الاجتماع الأمريكان المعاصرين الذي درس البيولوجيا والاقتصاد، ثم تخصص بالاجتماع، ويعد من أشهر العلماء الذين طوروا النظرية البنائية الوظيفية، ومن مؤلفاته المشهورة بناء الفعل الاجتماعي صدر في ١٩٣٧م، والنسق الاجتماعي ١٩٥١ م.

أكد بارسونز على أهمية وجود نظرية منهجية عامة للسلوك البشري، واعتبر ذلك أساسيًّا لنضوج العلم، ويرى أن نظرية علم الاجتماع يجب أن تكون بنائية وظيفية. أي أن المجتمع مؤلف من مجموعة أنظمة، وهذه الأنظمة مؤلفة من مجموعة عناصر، وكل واحد منها له وظائفه الأساسية، وفي حالة تكامل هذه الأنظمة بعضها مع البعض الآخر، فإن المجتمع سيكون في حالة سليمة. أما في حالة الاختلال فإن ذلك يستوجب إصلاحًا تدريجيًا لمعالجة الخلل.

كانت المساهمات الأساسية التي قدمها تقوم على الاعتقاد بأن الفعل الاجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع. وهذا الفعل هو سلوك إرادي تقترن فيه الوسائل بالغايات، وينطوي الإطار المرجعي للفعل على فاعل وموقف وتوجيه الفاعل إزاء

الموقف، ومحور نظريته في الفعل الاجتماعي هو كيفية توجيه الفاعل نحو الموقف الاجتماعي تحت ظرف ما، وزمان ما.

إذ يرى بارسونز أن النظم هي النقطة البؤرية في علم الاجتماع الذي يهتم بدوره في كيفية تكوّن النظم الاجتماعية، واستمرارية هذه النظم بشكل متساند يساعد على التكامل والاستقرار في المجتمع. استطاع بارسنز من خلال مساهماته ومؤلفاته العلمية في علم الاجتماع أن يحول نظرية الحدث من نظرية هامشية إلى نظرية اجتماعية متكاملة لها أهميتها في تحليل حقيقية الوجود الاجتماعي.

روبرت ميرتون(٣١ يونيو ١٩٤٤م)

يعد من أشهر علماء الاجتماع الأمريكان، ولد في الولايات المتحدة الامريكية، تلقى دراسته الجامعية على يد عالم الاجتماع تالكت بارسنز. وعمل بروفسور في جامعة كولمبيا الأمريكية حيث قدم عدد من الاسهامات العلمية التي أثرت مسيرة وتطور علم الاجتماع. لقد طور روبرت ميرتون، المتخصص في علم الاجتماع الأمريكي، ومن أشهر مولفاته «الاقناع الجماهيري، والنظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعي والمقابلة الموجهة، واستمرار البحث الاجتماعي وقراءات في البيروقراطية» جمع في دراساته تلك بين الأسلوب النظري والبحث الميداني في تحليل وتفسير وفحص المشكلات الاجتماعية التي قام في دراستها، أكد على مسالة اعتماد البحث الميداني بالاسترشاد بالنظيرات والتي يجب اختبارها والتأكد من صحتها عن طريق الدراسات الميدانية والامبريقية. واهتم بـ «نظريات المدى المتوسط» التي يتم بناءها بعد تجربتها والتأكد من صحتها عن طريق المسوحات الميدانية والدراسات التجريبية، فهي نظريات بحسب رأيه تقع بين فرضيات العمل الثانوية وتتطور بوفرة أثناء البحث اليومي الميداني، والجهود المنهجية [٣٥].

٣٥ – احسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص٣١٦.

برونسيلاف مالينوفسكي (١٨٨٤ - ١٩٤٢م):

عالم أنثروبولوجي ومؤسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولد في بولندا سنة ١٨٨٤م، وتوفي سنة ١٩٤٢م. وضع مع زميله رادكليف براون الأسس المنهجية لعلم الانثربولوجيا.

شكلت اسهاماته عامل رئيسي في تحويل الأنثروبولوجيا إلى علم حديث للإنسان، واعتبر الأنثروبولوجيا علمًا موجهًا ميدانيًا، وأكد على أن تستند النظرية والبحث عن القوانين العامة إلى بحث تجريبي مكثف يشتمل على المراقبة المنهجية والتحليلات التفصيلية للسلوك الفعلي في الحياة والمجتمعات المستمرة.

يوضح مالينوفسكي أنه مهما بدت الممارسات الشعبية أو التقاليد غريبة وشاذة للأجنبيّ، فهي جزء لا يتجزّأ من الوظيفة السليمة لهذا المجتمع، وحتى ما يُسمى بالخرافات لها منطق ووظيفة في سياق ذلك المجتمع، فهي تساهم في التعامل مع التغيرات البيئية والاجتماعية.

ساعد مالينوسكي في دحض افتراضات الداروينية الاجتماعية بأن كل المجتمعات تمر بمراحل محددة ومتوقعة على خط مسار واحد، وذلك بعرض أحوال ما يسمى بالشعوب البدائية، والتي تكون قادرة على تبني نفس أنواع التفكير الإدراكيّ ومستوياته في تلك المجتمعات الأكثر تقدمًا. ثمة الكثير مما يجب معرفته عن الطبيعة البشرية في كل البقاع مهما ظهرت في البداية بدائية أو شاذة.

ومن أهم أعماله هي: مغامرو غرب المحيط الهادئ ١٩٢٢م. والسحر والعلم والدين ١٩٢٥م.

والجريمة والعرف في المجتمع الهمجيّ ١٩٢٢م. وديناميكيات التغير الثقافي ١٩٧٦م. والأسطورة في السيكولوجيا البدائية ١٩٢٦م. والحرية والحضارة ١٩٧٧م.

جـورج زيميـل (١٨٥٨-١٩١٨)

ولـد جـورج زيميـل في قلـب مدينـة برلـين في ألمانيـا، وعـاش حياتـه كلهـا فيهـا تقريبًـا، إذ كان شـاهدا على تحولهـا مـن مدينـة صغيـرة وهادئـة الـى مدينـة متربوليـة ضخمـة وكانـت الحيـاة الفكريـة والثقافيـة والسياسـية في برلـين أساسـية في تكوينـه الفكـري كان ملاحظًـا دقيقًـا لـكل التحـولات التـي شـهدتها المدينـة ومدافعًـا عـن بيئتهـا السوسـيوثقافية[٣٦]. قضـى فيهـا مـا يقـرب مـن ٤٠ سـنة طالبًـا وأسـتاذًا محاضـرًا في جامعاتهـا قـدم الكثيـر مـن الاسـهامات في مجـال السوسـيولوجيا وعلـم النفـس الاجتمـاع وتطـور الاتجـاه الانظـري التفاعلي والفردانيـة وتفسـير تكويـن الجماعـات وتنوعهـا ووظائفـه.

يذهـب زيميـل إلـى أن مـن العسـير فهـم المجتمـع باعتبـاره وحدة سوسـيولوجية مسـتقلة عـن عقـول الأفـراد. وإن مـن الخطـأ كذلـك أن نعتقـد أن للأفـراد وحدهـم وجـودًا واقعيًّـا، فالمجتمـع بحسـب رأيـه، يُوجَـد مـن خـلال الأفـراد، والأفـراد مـا هـم إلا ذرات اجتماعيـة (أي المـادة التـي يتكـون منهـا المجتمـع). المجتمـع عنـد زيميـل هـو وحـدة موضوعيـة تتبـدَّى مـن خـلال العلاقـات المتبادلـة (التعاونيـة والصراعيـة) بـين العناصـر الإنسـانية المختلفـة في المجتمـع، ويميـز بـين فهـم مفهـوم المجتمـع ومضامـين أشـكالة فالمجتمـع هـو مـا يضمـن للسوسـولوجيا موضوعًـا مسـتقلاً ويقصـد بالمضمـون المصالـح والأهـداف والدوافـع والميـول والرغبـات البيولوجيـة والنفسـية التـي تدخـل في تركيـب الأفـراد كالعمـل والديـن والـزواج والجـوع والعطـش والحـروب وهـذه المثيـرات هـي مـا تدفـع الأفـراد للتفاعـل فيمـا بينهـم أمـا الأشـكال فيهـي هـي الانسـاق والبنيـات التـي تمتسـبها تجمعاتهـم بمعـن آخـر الشـكل هـو الكيفيـة التـي تتحقـق بهـا العلاقـة بـين بـين الأفـراد المنخرطـين في تفاعـل مـا[٣٧].

ومهمـة علـم الاجتمـاع تحديـد أشـكال العلاقـات الاجتماعيـة وتجريدهـا، وهـي الأشـكال التـي تتسـم بدرجـة مـن الاسـتقرار النسـبي جوهـر الدراسـة الاجتماعيـة إذ يقتضـي دراسـة البنـاء الواقعـي للمجتمـع. وتتضمـن صـور التنظيـم المتشـابهة (الأشـكال الثابتـة) محتويـات مختلفـة توجههـا مصالـح متضاربـة، بينمـا المصالـح الاجتماعيـة المتشـابهة (المحتويـات) تتحقـق في أشـكال مختلفـة تمامًـا عـن التنظيمـات الاجتماعيـة.

---

٣٦ – جـورج زيميـل، الفـرد والمجتمـع.. المشـكلات الأساسـية للسوسـيولوجيا، ترجمـة وتقـديم حسـن احجيـج، دار رؤيـة للنشـر، القاهـرة، مصـر، ٢٠١٧م، ص١١.

٣٧ – جورج زيميل، الفرد والمجتمع، المصدر السابق، ص ٢٨

بيير بورديو (١٩٣٠م- ٢٠٠٢م).

عالم اجتماع فرنسي عمل شهير، ويعد واحدًا من أهم الفاعلين الأساسين في الحياة الثقافية والفكرية في فرنسا وواحد من أبرز علماء الاجتماع المعاصرين. ولد في فرنساء في أغسطس ١٩٣٠م وتوفي في ٢٣ يناير ٢٠٠٢م في باريس.

عمل مدرسًا أكاديميًّا في الجزائر لفترة طويلة من الزمن. ذاع صيته بين أوساط السوسيولوجين في فرنساء بخاصة والعالم المعاصر بعامة.

له عدد من المؤلفات العلمية الوفيرة في السوسيولوجيا، منها كتابه (الورثة) المنشور في سنة ١٩٦٤ م والذي ألفه بالاشتراك مع جون كلود باسرون وغيرها من الدراسات العلمية الاخرى، منطلقًا من نظريته الاجتماعية التي تحاول إعادة إنتاج المجتمع ضمن عالم رمزي، يحمل في طياته بعدًا إمبريقيًّا، وقد عبر عن ذلك في مقولته الشهيرة: «لنظرية بدون بحث إمبيريقي خواء، والبحث الإمبيريقي بدون نظرية هراء» استخدام كل الأدوات والأسلحة الممكنة، لتحويل الخطاب السوسيولوجي إلى خطاب علمي ممنهج، فهو بذلك يوجه «النقد الصارم لمجموعة من النزعات المنتشرة كثيرًا بين علماء الاجتماع، والتي أساءت إلى هذا العلم ومنعت تطوره في اتجاه بناء نظرياته كالنزعة الاقتصادية «التحليل الماركسي» التي تفسر كل شيء بالعودة إلى الاقتصاد، والنزعة الوصفية التي تكتفي بملاحظة الوقائع والظواهر الاجتماعية دون أن تفسر في النهاية أي شيء».

يرى أن البحث عن إجابات سوسيولوجية للظاهرة الاجتماعية عن طريق ابتكاره لمجموعة من المفاهيم الأساسية:

أنطوني جيدنز (١٨ يناير ١٩٣٨م)..

أنطوني جيدنز هو عالم اجتماع بريطاني معاصر، ويعد من أبرز علماء الاجتماع في الحقبة الأخيرة من عصرنا الراهن، كان قد تخرج من الجامعة متخصصًا في علم النفس والاجتماع عام ١٩٥٩م. اشتهر بنظريته التي تسمى النظرية الهيكلية عام

١٩٨٤م. وهـي نظريـة اجتماعيـة تهـدف إلـى توضيـح التداخـل بـين الموجـودات البشـرية والبنـى الاجتماعيـة التـي ينتمـون اليهـا.

عمـل مديـرا لجامعـة لنـدن للاقتصـاد والعلـوم السياسـية ومستشـار تونـي بليـر رئيـس وزراء بريطانيـا السـابق إلـى وقـت قريـب.

اهتـم بدراسـة الفعـل الاجتماعـي وبواعثـه وأهدافـه ومقاصـده، والواقـع الوجـودي للحيـاة الحديثـة وبخاصـة طابعهـا الاقتلاعـي، والمواقـف الثاقبـة الناتجـة عـن «التحـول اللغـوي» في الفلسـفة، ودور الفعـل في صياغـة الواقـع الاجتماعـي بأبعـاده المختلفـة.

ويعـرض **جيدنـز** موقفـه مـن «الفعـل الاجتماعـي» ويقـدم رؤيتـه الفلسـفية التحليليـة النقديـة لواقعنـا المعاصـر الـذي وصـف فيهـا عالـم اليـوم بأنـه عالـم شـارد (عالـم منفلـت) في مؤلفاتـه التـي تجـاوزت الثلاثـين كتابًـا.

علي الوردي (١٩١٣- ١٩٩٥م) [٣٨]

ولـد عالـم الاجتمـاع العراقـي علـي حسـين الـوردي في حـي الكاظميـة بمدينـة بغـداد عـام ١٩١٣م. حصـل علـى الماجسـتير عـام ١٩٤٨م، والدكتـوراه عـام ١٩٥٠م، مـن جامعـة تكسـاس في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. كانـت أطروحتـه العلميـة التـي نـال عليهـا درجـة الدكتـوراه وهـي تحليـل سوسـيولوجي لنظريـة ابـن خلـدون في علـم اجتمـاع المعرفـة[٣٩].

بـرز علـي الـوردي كعالـم اجتمـاع عربـي وعراقـي متميـز مـن خـلال أعماله تلـك النوعية تلـك مثـل خـوارق اللاشـعور عـام ١٩٥٢م، وعـاظ السـلاطين ١٩٥٤م، مهزلـة العقـل البشـري ١٩٥٦م، الأحـلام بـين العلـم والعقيـدة ١٩٥٩م، منطـق ابـن خلـدون ١٩٦٢م، دراسـة في طبيعـة المجتمـع العرقـي ١٩٦٥م، وخلاصـة جهـده العلمـي في الأجـزاء السـته مـن كتـاب لمحـات

٣٨. اسـتعرضنا في هـذا الفصـل سـيرة مختصـره لعلمـين مـن علمـاء الاجتمـاع العـرب فقـط كمثـال فقـط لانـه يوجـد عـدد كبيـر مـن رواد علمـاء الاجتمـاع العـرب ينتمـون الـى عـدد مـن الـدول العربيـة ولهـم اسـهامات جليلـة ومضيئـة في مسـيرة هـذا العلـم وترثـه النظـري، راجـع د. هـادي العيسـاوي، افـق علـم الاجتمـاع في الوطـن العربـي.

٣٩ – علـي الـوردي، تحليـل سوسـيولوجي لنظريـة ابـن خلـدون في علـم اجتمـاع المعرفـة، ترجمـة لاهـي عبدالحسـين، دار المدى، ط١، بغداد، ٢٠١٨م، ص٩.

اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١٩٦٩- ١٩٧٧م[٤٠]. وتعد دراسته عن الشخصية العراقية من أهم الدراسة السوسيولوجية، في المنطقة العربية، تناولت فيها خصائص المجتمع العراقي بوصفه نموذجًا لبقية المجتمعات العربية، إذ ممكن الاستفادة منها كمنهج للبحث في المجتمعات العربية بعامة. حيث حلل فيها الشخصية العراقية على اعتبارها شخصية ازدواجية تحمل قيم متناقضة وأبرزها قيم البداوة وقيم الحضارة، اذ يرى أن المجتمعات العربية في الوقت الحاضر هي من أكثر المجتمعات تاثيرًا في القيم البدوية، فما تزال هذه القيم متغلغلة في أعماق نفوس العرب، مبينًا أن ما تعانيه المجتمعات العربية من مشكلات اجتماعية تعود بالأصل إلى ذلك التصادم بين القيم البدوية القديمة، والقيم الجديدة التي جاءت بها الحضارة الحديدة [٤١].

كتب الوردي عدد من البحوث والمقالات المختلفة تحمل مضامين تنويرية جديدة وساخرة لم يألفها القارئ ولذلك واجهت أفكاره وآراءه الاجتماعية الجريئة انتقادات لاذعة وبخاصة ما جاء في كتابه « وعاظ السلاطين» الذين يعتمدون على منطق الوعظ والإرشاد الافلاطوني منطلقًا من أن الطبيعة البشرية لا يمكن إصلاحها بالوعظ وحده، وإن الوعاظ أنفسهم لا يتبعون النصائح التي ينادون بها وهم يعيشون على موائد المترفين، كما أكد بأنه ينتقد وعاظ الدين وليس الدين نفسه.

كما أسهمت كتاباته الأكاديمية في أغنى التراث الفكري في الحقل الأكاديمي العربي والتي يمكن تصنيفها في اتجاه التأسيس لعلم اجتماع عربي يعتمد على كما كان ينادي هو بذلك منتقدا التقليد ويؤكد على ضرورة الاهتمام بخصائص مجتمعاتنا العربية في واقعها الراهن. تنبأ الوردي بانفجار الوضع مثلما تنبه إلى جذور العصبيات التي تتحكم بشخصية الفرد العراقي التي هي واقع مجتمعي تمتد جذوره إلى القيم والأعراف الاجتماعية والعصبيات الطائفية والعشائرية والحزبية التي ما زالت بقاياها كامنة في نفوسنا. وكذلك إلى الاستبداد السلطوي، الزمني والتزامني، الذي شجع وما يزال يشجع على إعادة إنتاج الرواسب الاجتماعية والثقافية التقليدية القديمة وترسيخها من جديد، كما يحدث اليوم.

٤٠ – علي الوردي، المصدر السابق، ص ٥.

٤١ – هادي صالح العيساوي، افاق علم الاجتماع، دار أسامة للنشر، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م، ١٦٨.

علي عبد الواحد وافي (١٩٠١ – ١٩٩١م)

يعد واحدًا من رواد علم الاجتماع العربي، وُلد في أم درمان بالسودان، حيث كان والده يُدَرِّس في المدارس الأميرية ثم في كلية غوردون. وبعد عودة الأسرة إلى مصر وجهه والده للدراسة في الأزهر، أوفد لمواصلة الدراسة الجامعية جامعة السوربون في باريس، حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع عام ١٩٣١م، وكان عنوان اطروحته «نظرية اجتماعية في الرق، كان رائدًا في إنشاء أقسام الاجتماع في الجامعات المصرية والسودان والجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية. وقد أنشأ الدكتور وافي جمعيتين علميتين ذواتي شأن في حياتنا الثقافية، وهما: «الجمعية المصرية لعلم الاجتماع»، و«الجمعية الفلسفية المصرية»، وكان عضوًا في المجمع الدولي لعلم الاجتماع. ومن أهم مؤلفاته في علم الاجتماع: الأسرة والمجتمع، المسؤولية والجزاء، علم الاجتماع، مشكلات المجتمع المصري والعالم العربي وعلاجها في ضوء العلم والدين، غرائب النظم والتقاليد والعادات، ابن خلدون منشئ علم الاجتماع، وعبقريات ابن خلدون، المدينة الفاضلة للفارابي.

كانت إسهاماته في علم الاجتماع تحمل اتجاهات عديده غلبت عليها النزعة الدينة في معظمها، وحملت اتجاهات وأفكار نقدية وتوليفية، حيث أعطى اهتمام في دراسته لارا ابن خلدون ليثبت اسبقيته على أوجست كونت[٤٢].

●●●

٤٢ – هادي صالح العيساوي، أفاق علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص٥٤